

تفسير البحر المحيط

@ 284 \$ 1 (سورة التحريم) 1 \$ مدنية .

بسم الله الرحمن الرحيم .

2 ({ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَرْزُوجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْءُودٌ لَكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * وَإِذْ أَسْرَرْنَا النَّبِيَّ إِلَى بَعْضِ أَرْزُوجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ * إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْءُودٌ لَاهٍ وَجَبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ * عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَعَ حَقٌّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهِمْ مَلَائِكَةُ غِلَظُ شِدَادٍ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّا زَعَمْنَا تَجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزَى اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ زُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِنِنَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ * وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ

ءَامَدُواْ امْرَأَةً فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي
الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوَمِ
الظَّالِمِينَ * وَمَرِيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَانَتْ فَرْجَهَا
فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِّبَ
وَكَانَتْ مِنَ الْإِقْبَانِ { (2 .

{ عَلَّمَا يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي
مَرْضَاتَ أَرْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ
تَحْلِيلَةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْءُودٌ لَكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ وَإِذْ
أَسْرَرْنَا النَّبِيَّ إِلَى بَعْضِ أَرْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ
وَأَطَاعَهُ اللَّهُ وَعَلَايُهُ عَزَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا
نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ { . .

هذه السورة مدنية ، وسبب نزولها ما يأتي ذكره في تفسير أوائلها ، والمناسبة بينها
وبين السورة قبلها أنه لما ذكر جملة من أحكام زوجات المؤمنين ، ذكر هنا ما جرى من بعض
زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم) . .

{ مِّنْ تَطْرُوفٍ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ } : نداء إقبال وتشريف وتنبيه بالصفة على عصمته
مما يقع فيه من ليس بمعصوم ؛ { لِمَ تُحَرِّمُ } : سؤال تطف ، ولذلك قدم قبله {
مِّنْ تَطْرُوفٍ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ } ، كما جاء في قوله تعالى : { عَفَا اللَّهُ
عَنكَ لِمَ أَذْنَتْ لَّهُمْ } . ومعنى { تُحَرِّمُ } : تمنع ، وليس التحريم المشروع بوحى
من الله ، وإنما هو امتناع لتطبيب خاطر بعض من يحسن معه العشرة . { مَا أَحَلَّ اللَّهُ
لَكَ } : هو مباشرة مارية جاريته ، وكان صلى الله عليه وسلم (ألم بها في بيت بعض نسائه
، فغارت من ذلك صاحبة البيت ، فطيب خاطرها بامتناعه منها ، واستكتمها ذلك ، فأفشته إلى
بعض نسائه . وقيل : هو غسل كان يشربه عند بعض نسائه ، فكان ينتاب بيتها لذلك ، فغار
بعضهن من دخوله بيت التي عندها العسل ، وتواصين على أن يذكرن له على أن رائحة ذلك
العسل ليس بطيب ، فقال : (لا أشربه) . وللمخشي هنا كلام أضربت عنه صفحا ، كما ضربت
عن كلامه في قوله : { عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذْنَتْ لَّهُمْ } ، وكلامه هذا ونحوه
محقق قوي فيه ، ويعزو إلى المعصوم ما ليس لائقا . .

فلو حرم الإنسان على نفسه شيئا أحله الله ، كشرب عسل ، أو وطء سرية ؛ واختلفوا إذا
قال لزوجته : أنت علي حرام ، أو الحلال على حرام ، ولا يستثنى زوجته ؛ فقال جماعة ،
منهم الشعبي ومسروق وربيعه وأبو سلمة وأصبع : هو